تأويل مفردة «النور» في القرآن الكريم بـ «ولاية المعصومين عليهم السلام»[1]

رحمان عشرية[2]

السيد محمد پور حسيني[3]

الملخّص

ثمّة أحاديث في التفاسير الروائية والجوامع الحديثية للإمامية فسّرت المعنى الباطني لمفردة «النور» في أغلب الآيات الواردة فيها بشخص أمير المؤمنين أو الأئمة المعصومين عليهم السلام، فكان هذا التأويل سببًا في إطلاق الأعداء اتهامات للشيعة بالإعراض عن الظاهر والالتزام بالباطن. وقد أخذت هذه الدراسة على عاتقها البحث الدلالي في معنى كلمة «النور» وبيان دائرة معانيها، وذلك بإحصاء الآيات التي وردت فيها هذه المفردة والروايات التي وردت في تفسيرها، وشرح كيفية تأويلها، ومن ثم إثبات دلالتها على معنى كلمة «إمام». وخلصت الدراسة إلى اعتبار «الضوء» معنى ظاهريًّا لكلمة «النور»، وشدّدت على تأويلها بمصاديق من قبيل الكتاب والإمام لجهة وجود صفة الهداية فيهما، وذلك بعد تعزيزها بشواهد من العقل والسياق والأخبار المعتبرة لدى المسلمين جميعًا. وعلى هذا الأساس، لم يثبت فقط بطلان اتّهام التشيع بالعدول عن الظواهر والاهتمام المحض بالبواطن، وإنّما ثبت صواب تأويل

---

١. تاريخ الاستلام: ١٤/٠٥/٢٠٢٥م؛ تاريخ القبول: ١٩/٠٨/٢٠٢٥م.

https://doi.org/10.22034/iaj.2026.241305

٢. أستاذ مساعد في كلية علوم القرآن، جامعة العلوم والمعارف القرآنية، قم ، إيران.oshryeh@quran.ac.ir

٣. طالب دكتوراه، كلية الإلهيات، قسم التفسير المقارن، جامعة العلوم والمعارف القرآنية، قم، إيران (الباحث المسؤول). Mohamad_hoseinipoor@yahoo.com

النور بالإمام، بالاستناد إلى الروايات ومبادئ علم الدلالة والسياق.

الكلمات المفتاحية: التأويل، العلاقات الاستبدالية، العلاقات التركيبية، الحقل الدلالي، ولاية المعصومين عليهم السلام، النور.

تمهيد

ثمّة روايات عديدة في الجوامع الحديثية عند السنة والشيعة تفيد بأنّ القرآن له ظاهر وباطن (الكليني، ١٤٠١هـ: ج ٢، ص ٥٩٩؛ العياشي، ١٤١١هـ: ج ١، ١٤؛ السيوطي، ١٣٩٤هـ: ج ٢، ص ٦.)، وأبسط تعريف للباطن هو المعنى الذي لا يُفهم من ظاهر الكلام بل يُستفاد من دليلٍ نقلي أو عقلي معتبر. ومن البديهي أنّ المعنى الباطني، الذي يُسمّى بالتأويل أيضًا، إن لم يدلّ عليه دليلٌ شرعيٌّ أو كان مخالفًا للدليل الشرعي، يُعدّ مصداقًا للتفسير بالرأي (بابائي، وآخرون، ١٣٧٩ش: ص ٢٥٥- ٢٥٩)، وقد رُوِيت أحاديث كثيرة في النهي عنه (العاملي، ١٤١٢هـ: ج ١٨، ص ٢٨؛ القرطبي، ١٤١٦هـ: ج ١، ص ٧٢؛ الهندي، ١٤٠١هـ: ج ٢، ص ١٠؛ الترمذي، ١٤٠٨هـ: ، ج ٥، ص ١٩٩- ٢٠٠). ومن المفردات التي ورد تأويلها في الأخبار والأحاديث بالإمام المعصوم، مفردة «النور»، حيث أُوِّلت في عدد من الآيات التي اشتملت عليها بشخص أمير المؤمنين عليه السلام، أو ولايته، أو جميع الأئمة المعصومين عليهم السلام، أو قيام إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، أو أوصياء الأنبياء عليهم السلام.

لم تُكتب دراسةٌ مستقلةٌ إلى الآن في البحثعن تأويل جميع الآياتالتي وردت فيها كلمة «النور»، ولم تؤيّدها بسائر المؤيدات المذكورة. ومن هنا، ارتأينا في هذه الدراسة البحث في مفردتي «التأويل» و«النور» لغةً، ودراسة كلمة «النور» في القرآن الكريم، وإنشاء نسقٍ من المفردات ضمن حقل دلاليٍّ يتمحور حول كلمة «نور»، استنادًا إلى المنهج التحليلي- التوصيفي. وبعد ذلك ومن خلال مراجعة الروايات ذات الصلة، بيّنّا الأسباب التي دفعت إلى تأويل «النور» بـ«الإمام» في كلّ آية بحسب سياقها، وبحثنا معناها الباطني، ثم حلّلنا كيفية دلالة مفردة «النور» على الإمام، وأكدنا على ضرورة عدم الخلط بين ظاهر الآيات وباطنها في التأويل المبحوث.

١- شرح المفردات

يتطلب الارتباط الوثيق بين موضوع البحث وبين التأويل، ولزوم التمييز والفصل بينه وبين التفسير، مزيدًا من التدقيق والتأمّل في معنى هاتين المفردتين، على الرغم من البحوث المفصّلة في هذا الموضوع.

١-١- التفسير والتأويل

كان يُنظر إلى التفسير والتأويل سابقًا على أنّهما لفظان مترادفان (معرفة، ١٣٧٩ش: ج ١، ص ٢٢)، بمعنى الكشف والإظهار عمومًا، لكنّ اللغويين ذكروا أنّ التفسير يعني البيان والتفصيل والتوضيح (الفراهيدي، ١٤١٠هـ: ج ٧، ص ٢٤٧؛ الجوهري، ١٤٠٧هـ: ج ٢، ص ٧٨١؛ ابن فارس، ١٤٠٤هـ: ج ٤، ص ٥٠٤)، وإظهار المعنى المعقول (الأصفهاني، ح.، ١٤١٦هـ: ص ٦٣٦)، وكشف المراد عن اللفظ المشكل (ابن منظور، ١٤٠٥هـ: ج ٥، ص ٥٥؛ الزبيدي، ١٤٢٠هـ: ج ١٣، ص ٣٢٣)، وتوضيح معنى الآية وشأن نزولها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة (الجرجاني، ١٤٠٣هـ: ص ٦٣؛ الزبيدي، ١٤٢٠هـ: ج ١٣، ص ٣٢٣- ٣٢٤). وذهب بعض الباحثين إلى أنّ التفسير يعني توسيع مديات النصّ؛ ولذا فقد اعتُبر التأويل نحوًا من أنحاء التفسير، وأنّ كليهما من أهداف المفسرين (الحكيم، ١٤١٧هـ: ص٢٢٧). وأشار بعض المفسرين إلى أنّ الداعي إلى التفسير هو الخفاء وصعوبة الألفاظ، فاعتُبر التفسير محاولةِ إزالة الخفاء عن دلالة الكلام (معرفة، ١٣٧٩ش: ج ١، ص ٣٣). ولفت آخرون في تعريفهم إلى أنّه مجرد بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها، دون الإشارة إلى بيان الظواهر (الطباطبائي، ١٣٩٠هـ: ج ١، ص ٤).

واليوم لم يبقَ إلا القليل من علماء التفسير يرون اختلافًا بين التفسير والتأويل، ويعتبرون التأويل منبثقًا من اللفظ ومعنى ثانويًّا له. وبعبارة أخرى: يعدّونه معنى باطنيًّا ممدوحًا (معرفة، ١٤١٦هـ: ٣ج، ص ٣٠)، في حين أنّ أغلب المفسرين يميّزون بين التفسير والتأويل، فيؤكّدون على أنّ التفسير شرح القرآن وبيان ظواهر الآيات ومعانيها والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو فحواه الكلبي، ١٤٢٣هـ: ج ١، ص

١٥؛ الطهراني، د.ت: ج ٤، ص ٢٣٢؛ بابائي، علي اكبر، ١٣٩٥ش: ص ١٣، وفي المقابل يرون التأويل عدولًا عن الظاهر وميلًا إلى الباطن، وهذا بحدّ ذاته نوعٌ من الإضافة إلى النصّ (پاكتچي، ١٣٨٩ش:، ص ٣٩). ونقل السيوطي عن أبي طالب التغلبي أنّ التفسير يتولّى بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازًا، والتأويل تفسير باطن اللفظ (السيوطي، ١٣٩٤هـ: ج ٤، ص ١٩٣).

والنتيجة أنّ التأويل هو صرف الكلام عن ظاهره (دهخدا، ١٣٧٧ش: ج ٤، ص ٦٣٦٤)؛ ويقع التفسير ويتحقّق عندما يُستعان بقواعد اللغة العربية وأصول التحاور والتفاهم العرفية، للكشف عن المعنى الظاهر للآيات وذلك بالاستناد إلى هيئات الجمل وسياقها وغير ذلك من القرائن التي ترفع الإبهام والغموض عن الآية. وإذا تعذر الكشف عن المعنى بالقواعد اللغوية وأصول الحوار، وطرح المفسر معنًى لا يُستفاد من ظاهر الآية، فهذا هو التأويل (بابائي، وآخرون، ١٣٧٩ش: ص ٣٤ و٢٥٥). فإن كان هذا التأويل مستمدًّا من الروايات المأثورة عن الراسخين في العلم (المعصومين عليهم السلام)، العالمين بالتأويلات، والمتصلين بالوحي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فهو ممدوحٌ ومقبولٌ، وإن كان مستندًا إلى الآراء الشخصية أو إلى الكشف والشهود لشخص المفسّر، فهو تأويل مذمومٌ وتفسير بالرأي، ولا دليل على قبوله (المصدر نفسه، ص ٢٥٨- ٢٥٩).

بناءً على ما تقدم، نستنتج أولًا: أن حمل النور على معنى الإمامة والإمام من التأويل لا التفسير؛ ثانيًا: إن كان تأويل كلمة «النور» بـ «الإمام» مقترنًا بمؤيّدات من قبيل الروايات أو السياق أو مبادئ علم الدلالة ومبحث دلالة الألفاظ، فلا يُعَدّ تأويلًا مذمومًا وتفسيرًا بالرأي. وليس هذا فحسب؛ بل يمكن أن يكون كاشفًا عن المراد الجديّ للمتكلم ، على الرغم من أنّ المعنى الاستعمالي والظاهري للكلام يبقى مقبولًا ومحتملًا.

١-٢- النور

أشهر معاني كلمة نور عند اللغويين هو الضوء مقابل الظلمة (الجوهري، ١٤٠٧هـ: ج

٢، ص ٨٣٨؛ الفراهيدي، ١٤١٠هـ: ج ٨، ص ٢٧٥؛ ابن منظور، ١٤٠٥هـ: ج ٥، ص ٢٤٠؛ الأصفهاني، ح.، ١٤١٦هـ: ص ٨٢٧؛ الطريحي، ١٣٨٦هـ: ج ٣، ص ٥٠٥)، وأهمّ ثمرة مترتبة على هذا المعنى المشاهدة، وفي هذا السياق تفسَّر الألفاظ الأخرى المشتقّة من هذه المفردة كالنار والمنارة وأمثالهما أيضًا (المصادر نفسها). وذكروا أنّ الضياء أعمّ من النور وأشدّ؛ ذلك أنّ الضياء ذاتي والنور عرضي (الزبيدي، ١٤٢٠هـ: ج ١٤، ص ٣٠٠) كما قال الباري تعالى: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس: ٥). كما ذكروا للنور أنواعًا مختلفة، وأوردوا على كلّ واحدٍ منها شاهدًا من القرآن الكريم، منها أنّ النور دنيوي وأخروي، والدنيوي ضربان: معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأنوار الإلهيّة، كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيّرة، كالقمرين والنجوم النيّرات، والنور الأخروي هو نور المؤمنين يوم القيامة (الزبيدي، ١٤٢٠هـ: ج ١٤، ص ٣٠١).

وشدّد بعض اللغويين على أنّ النور من أسماء الله؛ إذ يبصِر بنوره الأعمى ويرشَد بهداه الغاوي (ابن منظور، ١٤٠٥هـ: ج ٥، ص ٢٤٠؛ الزبيدي، ١٤٢٠هـ: ج ١٤، ص ٣١٢). وذهب بعض المفسرين إلى أنّ لله تعالى نورًا عامًّا وخاصًّا، النورُ العامّ تستنير به السماوات والأرض، فتظهر به في الوجود بعدما لم تكن ظاهرة، كما إنّ الأنوار الحسيّة من هذا القبيل. والنور الخاصّ هو الذي يستنير به المؤمنون، ويهتدون إليه بأعمالهم الصالحة، وهو نور المعرفة الذي يهتدون به إلى سعادتهم الخالدة، فيشاهدون شهودَ عيانٍ ما كان في غيب عنهم في الدنيا (الطباطبائي، ١٣٩٠هـ: ج ١٥، ص ١٢٠- ١٢١). والنقطة المهمة في هذه الأقوال هي وجه تسمية الله تعالى بالنور، ألا وهي الهداية.

ومع وجود قرائن متنوّعة قد يميل معنى مفردة «النور» من الحقيقة إلى المجاز، فعلى سبيل المثال ذكر بعض المفسرين أنّ المراد من النور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥) «الخلق» الذي أظهر به السماء والأرض(القرشي، ١٣٥٣ش: ج ٧، ص ١٢٧)، بينما استند آخرون إلى رواية نبوية في تفسير النور بالهداية، حيث إنّه تعالى هادٍ لأهل السماوات والأرض (الطريحي، ١٣٨٦هـ: ج ٥، ص ٥٠٣- ٥٠٤). وعليه، فإنّ استعمال كلمة نور للتعبير عن «الخلق» و«الهداية» هو استعمالٌ

مجازي. ولما كان القبول بالمعنى المجازي يتأتّى عن طريق مبادئ علم الدلالة نظير مفهومي العلاقات الاستبدالية والتركيبية، فمن الواجب البحث عن هذين النوعين من العلاقات في ما يخصّ مفردة «النور».

١-٣- العلاقات الاستبدالية والعلاقات التركيبية ودائرة المعاني

يرى مؤسس المنهج البنيوي السويسري «فرديناند دي سوسير» أنّ العلاقات التركيبية في علم الدلالة هي علاقات بين ألفاظ محددة تعدّ جزءًا من سلسلة حقيقية مبنيّة على صفة الخطّية، وتربط بعضها بالبعض الآخر. والعلاقات الاستبدالية علاقات تحقّق الترابط الذهني بين الألفاظ في نظام لغوي(سوسير، ١٣٨٠هـ: ص ١٧٦- ١٧٧). في المحور التركيبي أو التلاؤمي (المجاورة)، يُبحث عن العلاقة الأفقية بين أجزاء الكلام، وفي المحور الاستبدالي (المشابهة) يبحث عن العلاقات العمودية بين أجزائه (أحمدي، ١٣٨٨ش: ص ٣٣). واستنادًا إلى هاتين العلاقتين الأفقية والعمودية، يسلَّط الضوء على المفاهيم المرتبطة بلفظ «النور» في القرآن الكريم، ويقدَّم له معنى موسّع.

ترتبط العلاقة التركيبية لكلمة النور في القرآن بمفردات من قبيل الهداية (النور: ٣٥؛ الشورى: ٥٢؛ المائدة: ١٦)، الصراط المستقيم (الشورى: ٥٢)، الفلاح (الأعراف: ١٥٧)، الرحمة (الأحزاب: ٤٣؛ الحديد: ٩ و ٢٨)، الكتاب [السماوي] (الزمر: ٦٩؛ المائدة: ١٥)، الإيمان (التحريم: ٨؛ الحديد: ١٢- ١٣ و ١٩ و ٢٨)، البرهان (النساء: ١٧٤)، الإسلام (الزمر: ٢٢)، البصيرة (البقرة: ١٧)، الأنبياء والشهداء والصديقين (الزمر: ٦٩؛ الحديد: ١٩). كما ترتبط العلاقة الاستبدالية لها بكلمات مثل الإمام (الأحقاف: ١٢؛ هود: ١٧)، الرحمة (الأحقاف: ١٢؛ هود: ١٧)، الحرور (فاطر: ٢١)، الحياة (فاطر: ٢٢)، البصيرة (فاطر: ١٩)، التزكية (فاطر: ١٨).

كما أُشِير في الآيات القرآنية إلى تعابير نظير الطاغوت والظلمات والضلال والعذاب والخسران المبين، بوصفها مفاهيم معاكسة أو مضادّة للنور، وتحقّق التأكيد على المواجهة بين هاتين الطائفتين من المعاني (البقرة: ١٧ و ٢٥٧؛ النور: ٤٠؛ فاطر: ٢٠؛ المائدة: ١٦؛ الأحزاب: ٤٣؛ الحديد: ٩؛ الأنعام: ١٢٢؛ الزمر: ٢٢؛ النساء: ١١٩). ويرى

إيزوتسو أنّ الألفاظ المرتبطة ببعضها بمعانٍ أساسية تعمل بصورة شبكة مترابطة، وتشكل «حقلًا دلاليًّا» ضمن نظام معين وقواعد خاصّة (إيزوتسو، ١٣٧٤ش:ص ٢٤-٢٥)،ولهذا الالحقل ذو النواة المركزية الواحدة قطبان إيجابي وسلبي.

ثم إنّ الجمع بين قولي دو سوسير وإيزوتسو (اللذين يعدّان من أشهر العلماء في مجال اللسانيات من جهة، وتعدّ أقوالهما المتقدمة أشهر الأقوال على الصعيد العالمي من جهة أخرى)، يثبت أنّ لمفهوم النور حقلا دلاليًّا تقع مفردة «النور» في مركزه، بحيث تقع المعاني الأربعة عشر المستفادة من العلاقات الاستبدالية والتركيبية في القطب الإيجابي من المركز، والمعاني الخمسة المضادّة السلبية في القطب السلبي منه.

٢- شرح الآيات والروايات

أُوّلت مفردة «النور» في روايات الإمامية عمومًا بمعنى «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام» أو شخصه الكريم أو سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، ويمكن مشاهدة هذا المعنى في روايات أهل السنّة أيضًا:

١- في أحداث السقيفة، تلا أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: ١٧)، ثم قال:

«مثلكم كمثل الذي استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون» (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ٢، ص ٣٠١؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٩، ص ٥).

وأوّل الإمام الكاظم عليه السلام هذه الآية بالمنافقين (العسكري، ١٤٣٨هـ: ص ١١٥؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٣١، ص ٥٦٧)، وشدّد الإمام الباقر عليه السلام على أنّ المقصود بقوله تعالى: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ أولئك الذين لا يرون فضل أهل البيت عليهم السلام ومقامهم (المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٥، ص ١١).

٢- فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ

كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «فالنور هم آل محمد عليهم السلام والظلمات عدوهم» (العياشي، ١٤١١هـ: ج ١، ص ١٣٨؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٣، ص ٣١٠).

كما أنكر الإمام عليه السلام على من طبّق «الذين كفروا» في الآية المتقدمة على أعداء أهل البيت عليهم السلام فقال:

«وأيّ نورٍ للكافر وهو كافر فأُخرج منه إلى الظلمات؟ إنما عنى الله بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام فلمّا أن تولّوا كلّ إمام جائر ليس من الله، خرجوا بولايتهم إياهم من نورِ الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب لهم النّار مع الكفار» (العياشي، ١٤١١هـ: ج ١، ١٣٨؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٦٥، ص ١٠٤؛ النوري، ١٤٠٩ هـ: ج ١٨، ص ١٧٤).

وروي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال:

«﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ بولاية علي بن أبي طالب ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾... أخرجوا الناس من النور، والنور ولاية علي عليه السلام، فصاروا إلى الظلمة: ولاية أعدائه» (ابن شهرآشوب، ١٣٧٨هـ: ج ٣، ص ٨١؛ المجلسي، ١٤١٢ هـ: ج ٣٥، ص ٣٩٦).

وروي هذا المعنى في تفسير القمّي عن الإمام الرضا عليه السلام أيضًا (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ١، ص ٨٤- ٨٥).

٣- في ما يرتبط بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤)، رُوِي عن الإمام الصادق عليه السلام: «البرهان محمد (عليه وآله السلام)، والنور علي عليه السلام» (الكوفي، ١٤١٠هـ: ص ١١٦؛ العياشي، ١٤١١هـ: ج ١، ص ٢٨٥؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٩، ص ١٩٧؛ الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ١٥٠). وقد رُوِيت هذه الرواية في أحاديث أهل السنّة أيضًا (الحسكاني، ١٤١١هـ: ج ١، ص ٧٩). وأكد علي بن إبراهيم في تفسيره أنّ النور في هذه الآية هو إمامة أمير المؤمنين عليه السلام (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ١، ص ١٥٩).

٤- وردت كلمة «النور» في آيتين متتاليتين في سورة المائدة:

وهما قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ

تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

روى علي بن إبراهيم عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الله تعالى يعني بالنور أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، وإن كانت الآيات في مقام مخاطبة أهل الكتاب (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ١، ص ١٦٤؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٩، ص ١٩٧).

٥- في قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ...﴾ (الأنعام: ١٢٢)، روى بُريد العجلي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ إمامًا يأتمّ به، يعني علي بن أبي طالب عليه السلام» (العياشي، ١٤١١هـ: ج ١، ص ٣٧٦؛ المجلسي، ج ٣٥، ص ٤٠٤؛ ج ٦٤، ص ٣٠).

وجاء في تفسير علي بن إبراهيم القمّي:

«﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال: جاهلًا عن الحقّ والولاية فهديناه إليها. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ قال: النور الولاية. ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ يعني في ولاية غير الأئمة عليهم السلام» (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ١، ص ٢١٥- ٢١٦).

كما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ المراد من قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الهداية، والمقصود من قوله: ﴿نُورًا﴾ الولاية (الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ١٧٢).

٦- ورد عن الصادقين عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، أنّهما فسّرا كلمة «النور» بأمير المؤمنين عليه السلام وولايته (الكليني، ١٤٠١ هـ: ج ١، ص ١٩٤؛ ابن شهرآشوب، ١٣٧٨هـ: ج ٣، ص ٨١؛ العياشي، ١٤١١هـ: ج ٢، ص ٣١؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٣٥، ص ٣٩٦ و ٤٠٤؛ ج ٢٣، ص ٣١٠)، ورُوِي هذا المعنى في «تفسير القمّي» أيضًا (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ١، ص ٢٤٢).

٧- قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية الشريفة ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس: ٥):

«ضرب الله مثل محمّد ﷺ الشمس، ومثل الوصيّ القمر» (الكليني، ١٤٠١ هـ: ج ٨، ص ٣٨٠؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٣، ص ٣٢١).

وروى جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أنا الشمس وعليّ عليه السلام القمر» (الصدوق، ١٣٦١ش: ص ١١٥؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٤، ص ٧٦).

٨- وفي آية النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور: ٣٥)، روي عن الإمامين السجاد والرضا عليهما السلام قالا:

«... فنحن المشكاة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.... ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام بعد إمام، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فالنور عليّ عليه السلام، يهدي الله لولايتنا من أحبّ» (المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ١٦، ص ٣٥٦؛ ج ٢٣، ص ٣١١؛ الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٣٥٦).

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ فهو محمّد ﷺ. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو العلم. ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ فزعم أنّ الزجاجة أمير المؤمنين عليه السلام وعلم نبي الله عنده» (المفيد، ١٤١٤ه: ص ٢٧٨؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ١٦، ص ٣٥٦؛ الصفار، ١٤٠٤هـ: ص ٢٩٤).

٩- روى أبو هريرة ومحمد بن ثابت عن النبي الأكرم ﷺ قال:

«أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: ... ونورك من نور الله... ونور عليّ عليه السلام من نورك، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠) » (الكوفي، ١٤١٠هـ: ص ٢٨٧؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٧، ص ٣٣٢؛ ج ٦٥، ص ٤٤؛ الديلمي، ١٣٩٨هـ: ج ٢، ص ٤٠٤).

كما رُوِي عنه ﷺ أنّه قال:

«يا عليّ! إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإياك من نوره الأعظم، ثم رشّ من نورنا على جميع الأنوار من بعدي خلقه لها، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى إلينا، ومن أخطأه ذلك النور ضلّ عنّا، ثم قرأ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾» (الديلمي، ١٣٩٨هـ: ج ٢، ص ٤٠٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام بعدما تلا الآية المذكورة: «أي من لم يجعل الله له إمامًا في الدنيا فما له في الآخرة من نورٍ: إمام يرشده ويتبعه إلى الجنة» (الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٣٩١).

١٠- روي عن الصادقين عليهما السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الوارد في آيتين مختلفتين (الأحزاب: ٤٣؛ الحديد: ٩) أنّ المراد منها الإخراج من الكفر إلى الإيمان، يعني إلى ولاية علي عليه السلام (النباطي، ١٣٨٤هـ: ج ٢، ص ٧٤؛ ابن شهرآشوب، ١٣٧٨هـ: ج ٣، ص ٨٠؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٣٥، ص ٣٩٦).

١١- وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (فاطر: ٢٠)، أنّ الظلمات أبو جهل والنور أمير المؤمنين عليه السلام (النباطي، ١٣٨٤هـ: ج ٢، ص ٧٤؛ ابن شهرآشوب، ١٣٧٨هـ: ج ٣، ص ٨١؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٤، ص ٣٧٢).

١٢- ورد في بعض الروايات التفسيرية أنّ الآية ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الزمر: ٢٢)، نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ٢، ص ٢٤٨؛ ابن شهرآشوب، ١٣٧٨هـ: ج ٣، ص ٨٠؛ النباطي، ١٣٨٤هـ: ج ٢، ص ٧٤؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٣٥، ص ٤٠٥؛ ج ٣٨، ص ٢٣٣).

١٣- الآية الأخرى هي قوله جلّ وعلا: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ... وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ (الزمر: ٦٩)، قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ربّ الأرض إمام الأرض، فإذا خرج يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزؤون بنور الإمام [أي يسيرون في طريق الهداية بواسطة نور الإمام]» (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ٢، ص ٢٥٣؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٧، ص ٣٢٦).

وذكر أمير المؤمنين عليه السلام أنّ المقصود بالشهداء (الكلمة المركبة والمتّسقة مع النور) في الآية المتقدمة هم أهل البيت عليهم السلام (المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٣٥، ص ٣٨٩). وقال علي بن إبراهيم في تفسيره: الشهداء في هذه الآية هم الأئمة المعصومون عليهم السلام (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ٢، ص ٢٥٣- ٢٥٤).

١٤- وحول المراد من النور في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى أنّه أمير المؤمنين عليه السلام (الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٥٣٦)، وأعاد الضمير في عبارة ﴿نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ﴾ إليه أيضًا حيث هدى به الله من هدى من خلقه (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ٢، ص ٢٧٩- ٢٨٠؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٣٥، ص ٣٦٧). وشدد الإمام الصادق عليه السلام على علاقة هذه الآية بالآية السابقة، وفسّر النور في هذه الآية بأمير المؤمنين عليه السلام أيضًا (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ٢/ ٢٧٩؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٥، ص ٤٧- ٤٨).

١٥- روى صالح بن سهل قال: سمعت الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:

«﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠) فما لَه من إمام يوم القيامة يمشي بنوره، يعني كما في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ...﴾ (الحديد: ١٢)، قال: إنّما المؤمنون يوم القيامة نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى ينزلوا منازلهم من الجنان»(القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ٢، ص ١٠٦).

١٦- روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنّهما سألا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ (الحديد: ١٣)، فقال:

«أنا السور، وعليّ عليه السلام الباب، وليس يؤتى السور إلا من قِبل الباب» (الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٦٣٦- ٦٣٧؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٤، ص ٢٧٧).

١٧- ورد في الحديث أنّ «الصدّيق» في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد: ١٩) هو أمير المؤمنين عليه السلام (الأربلي، ١٤٠١ هـ: ج ١، ص ٣١٣).

وروي عن ابن عباس ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني صدّقوا ﴿بِاللهِ﴾ أنّه واحد: عليّ عليه السلام وحمزة بن عبد المطلب وجعفر الطيار، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صدّيق هذه الأمة علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم». ثم

قال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال ابن عباس: فهم صدّيقون وهم شهداء الرسل على أنّهم قد بلّغوا الرسالة. ثم قال: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ يعني ثوابهم على التصديق بالنبوة والرسالة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿وَنُورُهُمْ﴾ يعني على الصراط (ابن طاووس، ١٤٠٠هـ: ج ١، ص ٩٤؛ النباطي، ١٣٨٤هـ: ج ١، ص ٢٨١؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٣٥، ص ٤١٢؛ ج ٣٨، ص ٢١٣).

كما رُوي في مصادر أهل السنّة في تفسير هذه الآية أحاديث اعتبرت أمير المؤمنين عليه السلام الصدّيق الأكبر وأفضل الصدّيقين (أبو نعيم الأصفهاني، أ.، ١٤٠٦هـ: ص ٢٤٥- ٢٤٧). وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بشأن هذه الآية:

«إذا كان يوم القيامة عُقد لواء من نور أبيض... فيقوم علي بن أبي طالب عليه السلام، فيُعطَى اللواء من النور الأبيض بيده، وتحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، لا يخالطهم غيرهم حتى يجلس على منبر من نور ربّ العزّة، ويعرف الجميع عليه رجلًا رجلًا، فيعطيه أجره ونوره... فيقوم علي عليه السلام والقوم تحت لوائه معه حتى يدخل بهم الجنة، ثم يرجع إلى منبره، فلا يزال يُعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة، وينزل أقوامًا على النار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، يعني السابقين الأولين والمؤمنين وأهل الولاية له. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ يعني كفروا وكذبوا بالولاية وبحقّ علي عليه السلام» (الحلي، ١٣٧٩ ش: ص ٤٠٩؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٨، ص ٤؛ ج ٢٣، ص ٣٨٨؛ الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٥٨٢).

وعن الإمام السجاد عليه السلام بعد تلاوة هذه الآية، أنّه قال: «إنّ هذه [فضيلة] لنا ولشيعتنا» (المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٦٤، ص ٥٢).

١٨- روي أنّ جابر الجعفي سأل الإمام الباقر عليه السلام عن الآية الشريفة المتقدمة: ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (الحديد: ٢٨)، فقال: «الحسن والحسين عليهما السلام». ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، قال: «يجعل لكم إمامًا تأتمّون به» (الكليني، ١٤٠١هـ: ج ١، ص ٤٣٠؛ القمي، ١٤٠٤هـ: ج ٢، ص ٣٥٢؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٣، ص ٣١٩؛ الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٦٤٣).

وعلى العموم، طُبِّقت كلمة «نور» في روايات الفريقين على أمير المؤمنين عليه السلام، ورووا في تفسير الآية الشريفة: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، عن الإمام الباقر عليه السلام: «من تمسّك بولاية علي عليه السلام فله نور» (الحسكاني، ١٤١١هـ: ج ٢، ص ٣٠٩).

١٩- روى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨)، قال:

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا ابن عباس! سوف يأخذ الناس يمينًا وشمالًا، فإذا كان كذلك فاتبع عليًّا وحزبه؛ فإنّه مع الحقّ والحقّ معه، ولا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض...»، ثم تلا الآية (الخزّاز، ١٤٠١هـ: ص ١٨- ١٩؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٣٦، ص ٢٨٦).

وروي عن محمد بن الفضيل أنّه سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن معنى هذه الآية، فقال له:

«يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم». قلت: ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾، قال: «والله متمّ الإمامة... فالنور هو الإمام»(الكليني، ١٤٠١هـ: ج ١،ص ٤٣٢؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٣، ص ٣١٨؛ ج ٢٤، ص ٣٣٦؛ ج ٥١، ص ٦٠).

٢٠- روي عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (التغابن: ٨)، فقال:

«يا أبا خالد! النور والله الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عزّ وجلّ نورهم عمّن يشاء، فتضللهم قلوبهم» (الكليني، ١٤٠١ هـ: ج ١، ص ١٩٤؛ القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ٢، ص ٣٧١؛ الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٦٧١؛ ابن شهرآشوب، ١٣٧٨هـ: ج ٣، ص ٨١؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٣، ص ٣٠٨).

وذهب عدد من كبار الصحابة كابن عباس والمفسرين كعليّ بن إبراهيم القمّي إلى أنّ النور في الآية المذكورة عبارة عن أمير المؤمنين عليه السلام وولايته (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ:

ج ٢، ص ٣٧١؛ النباطي، ١٣٨٤هـ: ج ١، ص ٢٩٦؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٦٤، ص ٥٤).

٢١- ويُستفاد من عددٍ من الأحاديث أنّ قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ (التحريم: ٨)، نزل في بخصوص أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه (الأربلي، ١٤٠١هـ: ج ١، ص ٣١٤).

وروى الكابلي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى من سورة التغابن: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (التغابن: ٨):

«النور والله الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله. قوله: ﴿أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ (التحريم: ٨) ألحق بنا شيعتنا»(ابن شهرآشوب، ١٣٧٨هـ: ج ٣، ص ٨١؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٣، ص ٣١٥).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾:

«أئمة المؤمنين نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم» (القمي، ع.، ١٤٠٤هـ: ج ٢، ص ٣٧٨؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٢٣، ص ٣٠٤).

وتلا ابن عباس هذه الآية: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (التحريم: ٨)، ثم قال: «علي عليه السلام وأصحابه يزفّون إلى الجنان» (الأربلي، ١٤٠١هـ: ج ١، ص ٣١٦؛ الحلي، ١٣٧٩ش: ص ٣٦٤؛ ابن شهرآشوب، ١٣٧٨هـ: ج ٣، ص ٢٢٧؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٣٦، ص ٢٢؛ ج ٣٥، ص ٣٥٠؛ ج ٣٩، ص ٢٢١).

٢٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله في آية: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٦):

«مثلي فيكم مثل الشمس، ومثل علي عليه السلام مثل القمر، فإذا غابت الشمس فاهتدوا بالقمر» (الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٧٧٨).

وبغضّ النظر عن الآيات المتقدمة التي أُوّلت مفردة النور فيها بحسب الروايات بالإمام، لا تكاد تجد آية أخرى تشتمل على مفردة «النور» ولم ترِدْ فيها رواية تؤوّلها بما ذكرنا، وإنْ وجدت مثل هذه الآيات فعباراتها شبيهة بعبارات الآيات المؤوّلة

[وهذا يسمح بتصنيفها في خانة الآيات المؤوَّلة؛ للتشابه بين النوعين من الآيات][1]، وذلك كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (الرعد: ١٦)، الذي يشبه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (فاطر: ١٩-٢٠)، وقد ذكرنا الروايات الواردة فيها. كما توجد رواياتٌ وَصَفَت أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة الميامين عليهم السلام بالنور بصورة مستقلة، دون الإشارة إلى آية من الآيات القرآنية، كالرواية النبوية:

«يا كعب! إنّ لعليٍّ نورَين: نورٌ في السماء، ونورٌ في الأرض، فمن تمسّك بنوره أدخله الله الجنّة، ومن أخطأه أدخله الله النّار، فبشر النّاس عنّي بذلك» (القمي، م.، ١٤٢٣هـ. ج ١٣، ص ١١٥؛ الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٦٤٣).

على أنّ ثمّة رواياتٍ كثيرة مشابهة لهذه الرواية.

٣- تأويل الآيات

من الضروري دراسةُ أبعاد تأويل كلمة «النور» بالإمام، بدءًا ببحث الأسباب الداعية إلى ذلك، وانتهاءً بالمعنى الباطني لها؛ وذلك بغية المعرفة الدقيقة بموضوع التأويل:

٣-١- تحليل سبب تأويل النور بالإمام المعصوم

«الهداية» من المعاني المجازية لمفردةِ «النور»، كما أشرنا إلى ذلك نقلًا عن اللغويين كالطريحي وابن منظور والزَّبيدي، والمفسرين أمثال العلامة الطباطبائي أيضًا. من هنا، وصف القرآنُ الكريمُ التوراةَ بالهداية والنور فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٤)، وعزّز معنى الهداية لهذا الكتاب بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (السجدة: ٢٣). وكذا الحال بالنسبة إلى الإنجيل أيضًا: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٦). وهذا الأمر ينطبق على القرآن الكريم حسب ما أفادت بعض الآيات القرآنية أيضًا، فوُصف بأنّه: ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)، وأُردفه مباشرةً بقوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ﴾ (المائدة: ١٦)، بل شدَدت بعض الآيات على أنّ الهداية إلى

١. من إضافات المحرِّر بهدف المزيد من البيان. (المحرِّر)

النور ثمرة القرآن الكريم، نحو قوله جلّ وعلا:

﴿... رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الطلاق: ١١). وقوله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم: ١).

وقد تقدم هذا المعنى في كلامنا على العلاقات الاستبدالية والتركيبية أيضًا. ويُستفاد من مجموع الآيات المشار إليها آنفًا أنّ الكتاب السماوي يُعدّ نورًا من جهة كونه سببًا لهداية البشر، ويصدق هذا الاستدلال على الإمام المعصوم أيضًا، فوجودُه نورٌ من حيث كونُه هاديًا؛ ولذا قال الباري عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣).

وثمّة أخبار مستفيضة حول دور الأئمة في الهداية، الطائفة الأولى منها متعلقة بالآيات المشتملة على مفردة «النور»، والطائفة الثانية ما ورد في سياق الكلام على آيات من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧)، فحتى روايات أهل السنّة اعتبرت الهادي في الآية المذكورة شخص أمير المؤمنين عليه السلام (ابن أبي حاتم، ١٤١٩هـ: ج ٧، ص ٢٢٢٥؛ الطبري، ١٤١٢هـ: ج ١٣، ص ٧٢؛ الأصفهاني، أ.، ١٤٠٦هـ: ص ١١٨- ١١٩؛ الحسكاني، ١٤١١هـ: ج ١، ص ٣٨٦)، وصحّ إسناد بعض هذه الروايات باعتراف كبار علماء أهل السنّة (النيسابوري، ١٤١١هـ: ج ٣، ص ١٢٦). كما توجد آيات أخرى أُوّلت في الروايات بأمير المؤمنين عليه السلام وشيعته (الأربلي، ١٤٠١ هـ: ج ١، ص ٣١٧ و ٣٢١)، نظير قوله تعالى: ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ (محمد: ٣٢)، وقوله جلّ وعلا: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨١).

كذلك شدّدت بعض الأحاديث- كحديث الثقلين الذي يحظى بأعلى درجات المقبولية سندًا ودلالةً لدى الفريقين- (النيسابوري، ١٤١١هـ: ج ٣، ص ١٠٩- ١١٠، ١٤٨، ٥٣٣؛ ابن ماجة، ١٤١٦هـ: ج ٢، ص ٤٣٢؛ ابن حنبل، ١٤٢١ هـ: ج ٣، ١٤ و ص ١٧ و ص ٢٦ و ص ٥٩؛ ج ٤ص ٣٦٦ و ص ٢٧٢ وص ٣٧٠؛ الطبراني، ١٤١٥هـ: ج ٣، ص ٦٢- ٦٣ و ١٣٧) على عدم الافتراق بين الكتاب والسنّة، وبمقتضى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبدًا» (الترمذي، ١٤٠٨ هـ: ج ٥، ص ٦٦٢- ٦٦٣. نقلًا عن أكثر من ثلاثين صحابيًّا)؛ ومصادر أخرى)، يعدّ التمسك بهما سببًا للهداية والنجاة من الضلال. والمفهوم المخالف لهذه العبارة هو أنّ الانفصال عن أيٍّ من هذين النورين يؤدي إلى الضلال، فالتمسك بهما معًا موجب للهداية. وما يؤيّد هذا المعنى وجودُ مفردةِ «الضلال» في القطب السلبي من الحقل الدلالي لكلمة نور. وهو ما بحثناه سابقًا.

وعلى هذا الأساس، شُبِّه «الكتاب» بالنور في ظاهر الآيات، وأُوِّل النور في باطنها بـ«الإمام». وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، أشير إلى تأويل كلمة «النور» الواردة بحسب الظاهر في الكتاب السماوي، وعُلِّل تأويلها بجميع الأوصياء المعصومين بأنّهم حملة كتاب الله عزّ وجلّ، وخزنته وتراجمته، الذين نعتهم الله في كتابه بالراسخين في العلم (المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٩٠، ص ٢١). وهذا الكلام ينطبق تمامًا على الشرح المتقدم.

ومن هنا، يمكن إطلاق كلمة «النور» على مطلقِ ما يوجب الهداية، مثل «الإيمان»، فهو أولًا: ناتج عن اتباع الكتاب والسنّة، وفي طولهما لا في عرضهما؛ ثانيًا: ورد في القرآن الكريم: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾(يونس: ٩)؛ ثالثًا: أُطلِق عليه اسمُ النور في كلام المعصوم عليه السلام أيضًا فورد: «فسُمّي الإيمان هاهنا نورًا»، وذُكر أنّ المبرِّر هو الهداية والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان (المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٩٠، ص ٢٢).

وبين الهداية ى الهداية وبين دلالة بعض الآيات والروايات الواردة في تفسيرها علاقة تركيبية. فعلى سبيل المثال، تنصّ الآيتان: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور: ٣٥) و﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ﴾ (الشورى: ٥٢)، المتقدّمتان آنفًا على العلاقة بين الهداية والنور، وإلى جانب هذا نلاحظ أنّ الروايات الواردة في تفسير هاتين الآيتين تبيّن مبرِّر التأويل وهو الهداية المترتّبة على وجود الإمام. وقد تخلو بعض الآيات من الإشارة إلى مفهوم «الهداية»، ولكنّ الروايات المؤوّلة تتولّى الربط والتوضيح، كما في الروايات الواردة في الكلام على الآية ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠)، وكذلك الآيتان ٢٢ من سورة الأنعام و١٦ من سورة نوح المتقدم ذكرهما.

ومجمل الكلام: وجهُ تأويل النور بالإمام في الروايات المأثورة هو هداية الإمام، كما أنّ الكتاب الإلهي نور لهذا الوجه أيضًا، غاية الأمر أنّ الفارق بينهما يكمن في تشبيه الكتاب بالنور في ظاهر الآيات، وتأويل النور بالإمام في باطنها.

٣-٢- مفاد الحقل الدلالي لمفردة النور في الروايات

فضلًا عن معنى الهداية، ثمة شواهد في الروايات لباقي معاني القطبين السلبي والإيجابي ضمن الحقل الدلالي لكلمة النور. فعلى سبيل المثال، ورد تطبيق معنى «الصراط المستقيم» في الآية ٢٥ من سورة الشورى على أمير المؤمنين والأئمة الميامين عليهم السلام في روايات عديدة لدى الفريقين (الصدوق، ١٣٦١ش: ص ٣٢- ٣٧؛ الأربلي، ١٤٠١هـ: ج ١، ص ٣٢٤؛ الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٢٩- ٣١؛ الحسكاني، ١٤١١هـ: ج ١، ص ٧٩)، وأشير في بعضها إلى تطبيق سائر المعاني كالنور والشاهد والصدّيق على الإمام علي عليه السلام، كما أُوِّلت مفردة «الشاهد» بالإمام في آيات أخرى كالآية ١٧ من سورة هود (العياشي، ١٤١١هـ: ج ٢، ص ١٥٢؛ ابن شهرآشوب، ١٣٧٨هـ: ج ٣، ص ٨٦؛ الأربلي، ١٤٠١هـ: ج ١، ص ٣٠٦؛ المجلسي، ١٤١٢هـ: ج ٩، ص ٢١٤؛ الأسترآبادي، ١٤٠٩هـ: ص ٢٣٢)، ونرى في هذه الآية مفردات أخرى نظير «الإمام» و «الرحمة» ذات علاقة تركيبية مع مفردة «الشاهد». ويمكن مشاهد الروايات التي تؤوِّل مفردات «الشاهد» و «النور» و «الصراط المستقيم» وأمثالها بأمير المؤمنين عليه السلام في المصادر المعتبرة غير الشيعية أيضًا (الأصفهاني، أ.، ١٤٠٦هـ: ص ١٠٦- ١١١؛ الحسكاني، ١٤١١هـ: ج ١، ص ٧٩ و ٣٦٣؛ السيوطي، ١٤٠٤هـ: ج ٣، ص ٣٢٤). وعلى هذا المنوال، هناك روايات كثيرة من الفريقين تطرقت إلى تأويل المفردات ذات العلاقة التركيبية أو الاستبدالية مع مفردة النور بالإمام المعصوم في الآيات ذات الصلة، ولا يتسنّى إحصاؤها والإشارة إليها بالتفصيل في هذه الدراسة.

٣-٣- البحث في المعنى الباطني للنور

إنّ تأويل النور بالإمام المعصوم خارجٌ عن ظاهر الآيات القرآنية ومتعلق بباطنها، وقد اختلفت أقوال علماء الفريقين حولَ المراد من الباطن، لكنّ جميع هذه الأقوال تؤيِّد صحّة المدّعى في هذه المقالة.

٣-٣-١- المعاني الظاهرية والباطنية

ذهب فريقٌ من المفسرين كالطبري والبلخي والبغوي إلى أنّ ظاهر الآية هو لفظها وباطنها تأويلها (البغوي، ١٤٠٧هـ: ج ١، ص ٣٥). ونُقِل عن الحسن البصري أنّ الظاهر هو المعنى الظاهري للآية والباطن هو المعنى الذي يتأتّى عن طريق القياس على الظاهر (الطوسي، د.ت: ج ١، ص ٩). وفسّر فريق آخر منهم ظاهر القرآن بأنّه المصداق الواضح وباطنه المصاديق الخفيّة واللوازم (العراقي، ١٤٠٥ هـ: ج ١، ص ١١٧). وقال آخرون كابن النقيب والسيوطي والآلوسي إنّ الظاهر هو المعنى الذي يتجلّى للعارفين بظواهر القرآن، والباطن أسرارٌ لا يُطلع عليها الباري تعالى إلا أصحاب الحقيقة من أهل العبادة والزهد بعلم الموهبة (الآلوسي، ١٤٠٥هـ: ج ١، ص ٧). والإشكال على هذا التعريف أنّه لم يحدّد مصاديق أصحاب الحقيقة، فمن الممكن أن تشمل الصوفيين المتطرفين وأمثالهم أيضًا. ومن هنا، عمد المحقق الخوئي إلى رفع هذا الإشكال، واعتبر الظاهر هو المعنى الذي استعمل فيه اللفظ، وأمّا الباطن فهو ما لم يُستعمل فيه اللفظ ولكنّه أريد لأنّه من لوازم المعنى وملزوماته، التي لن تصل إليها أفهامنا القاصرة إلا بتوجيه من أهل البيت عليهم السلام (الفياض، ١٤١٠هـ: ج ١، ص ٢١٣). وتبنّى الآخوند الخراساني هذا المعنى دون الإشارة إلى اشتراط فهمنا بعناية المعصومين عليهم السلام (الخراساني، ١٤١٢هـ: ص ٥٦).

وفي ضوء رأي آية الله الخوئي- الذي يبدو أنّه أكمل التعاريف المذكورة- لا يمكن الوقوف على المعاني الباطنية للآيات إلا بالاستعانة بالروايات، وهو ما حصل فعلًا بشأن تأويل مفردة «النور» في هذه الدراسة. مضافًا إلى وجود قرائن كالعلاقات التركيبية والاستبدالية والحقل الدلاليّ تعزز المعنى الباطني وتأويل «النور» بـ «الإمام».

٣-٣-٢- المعنى الباطني الصحيح

ورد تأويل كلمة «النور» بالأئمة المعصومين عليهم السلام وتفسيرها بالمعنى الباطني عن طريق أهل السنة أيضًا، ما يكشف عن قبول هذا المعنى لديهم. فعلى سبيل المثال، ذكر الذهبي أربعة شروط لقبول التفسير الباطني، هي: ١- عدم منافاة الظاهر المتحصل

من السياق؛ ٢- تأييد التفسير الباطني بشاهد شرعي؛ ٣- عدم المعارض الشرعي أو العقلي؛ ٤- عدم ادعاء حصرية المعنى ى الباطني وعدم نفي المعنى الظاهري (الذهبي، ٢٠٠٠م.: ج ٢، ص ٢٧٩- ٢٨٠). وعلى الرغم من الإشكالات الورادة على شروط الذهبي- ومنها عدم الحاجة إلى الشروط الأخرى عند تحقق الشرط الأول؛ لأنّ ما يتوفر فيه الشرط الأول هو تفسير ظاهري لا باطني- مع ذلك فقد روعيت هذه الشروط في تأويل النور بالإمام. وتجدر الإشارة مرة أخرى إلى أنّ إرادة المعنى الباطني وتأويل النور بالإمام لا يستلزم إنكار الأخذ بالمعنى الظاهري مطلقًا.

وبعبارة أدقّ مما ذكره الذهبي، شدّد بعض الباحثين على أنّ المعيار في صحة التعويل على المعاني الباطنية في القرآن الكريم توفّر شروط ثلاثة: ١- اندراج المعنى الباطني في سياق إحدى الدلالات العرفية للكلام؛ ٢- ورود روايات عن المعصومين تنبئ بالمقصود من التأويل؛ ٣- عدم تعارض المعنى الباطني مع ضروري من ضروريات الدين أو العقل أو النقل المعتبر (الكتاب والسنة) (بابائي، ١٣٨٩ش: ج ٢، ص ٢١- ٢٢).

وفي معرض تطبيق الشرط الثالث، لا نجد أيّ معارض لضروري من ضروريات الدين أو العقل أو النقل عند تأويل مفردة «النور» بـ «الإمام»، بل إنّ بعض الآيات القرآنية مؤيّدة لهذا المعنى أساسًا. مثلًا، إذا أُوّل النور بالإيمان طبقًا للروايات الواردة في قوله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (الحديد: ١٢)، نجد أنّها موافقة لهذه الآية الشريفة: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١). كذلك روعي الشرط الثاني بالاستناد إلى الحديث والأخبار المأثورة، سوف نتكلّم على الشرط الأول وهو ورود المعنى الباطني في سياق إحدى الدلالات العرفية في السطور القادمة.

٣-٤- البحث في دلالة النور على الإمام

بمقتضى الشروط الثلاثة المتقدمة، إذا تعقّلنا دلالة واحدة لتأويل النور بالإمام باعتباره معنى باطنيًّا له، تثبت صحة التأويل المذكور؛ لأنّنا أشرنا إلى تحقق الشرطين الأولين سابقًا. ولا يخفى أنّ علماء المنطق ذكروا أنواعًا لدلالة الألفاظ على المعاني، وأهم

الدلالات اللفظية ثلاث: المطابقية والتضمّنية والالتزامية (التفتازاني، ١٣٦٧ش: ص ٨٣؛ المظفر، ١٣٦٨ش: ج ١، ص ٣٧- ٣٨؛ الخوانساري، ١٣٥٩ش: ص ٦٠)، والدلالات الفرعية كثيرة، أبرزها: دلالة الاقتضاء والتنبيه والإيماء والإشارة ودلالة الكلام على المفهوم في مقابل المنطوق وأمثالها (بابائي وآخرون ، ١٣٧٩ ش: ص ٢٤٤- ٢٤٩).

وثمّة أكثر من دلالة لفظية منطقية لتأييد تأويل النور بالإمام، فمن بين الدلالات الأصلية الثلاث (التضمنية والالتزامية والمطابقية)، من المسلّم به دلالة الدلالة التضمنية والالتزامية لمفردة «النور» على «الإمام».

الدلالة التضمنية (دلالة اللفظ على جزء المعنى الموضوع له، مثل دلالة عبارة «هُدم بيته» على «انهدام جدار البيت») قائمة؛ لأنّ الهداية جزءٌ لا يتجزّأ من وجود الإمام، فلا يُتصوَّر أنّ اتباع الإمام الحقّ يمكن أن يؤدِّي إلى الضلال، وقد بحثنا سابقًا أبعاد العلاقة بين النور والهداية.

وحيث إنّ الدلالة الالتزامية تعني دلالة اللفظ على أمرٍ خارجٍ عن المعنى الموضوعِ له، لكنّه ملازم له في الذهن، نحو دلالة السقف على وجود الجدار، فإنّ دلالة النور على الإمام بالدلالة الالتزامية أمر مسلّم أيضًا؛ وذلك لسببين: الأول: النورانية من لوازم الإمامة؛ والثاني: هدف الإمام كما تقدم هو إيصال المأموم إلى نور الهداية.

وعليه، يثبت وجود هاتين الدلالتين المنطقيّتين، حيث إنّ علماء المنطق يؤمنون بأنّ دلالتي التضمن والالتزام تستلزمان المطابقة دائمًا، بمعنى أنّ دلالة المطابقة (دلالة اللفظ على تمام المعنى الموضوع له، مثل دلالة البيت على جميع أجزائه كالغرف والفناء و...) توجد قطعًا كلّما وُجِدت دلالة التضمّن والالتزام؛ لأنّ الدلالة على جزء المعنى أو على ما هو خارج عنه فرعٌ لوجود المعنى نفسه والدلالة عليه (الخوانساري، ١٣٥٩ش: ص ٦٢).

وبهذا، فالتأويل موضع البحث مشتملٌ على جميع الأنواع الثلاثة للدلالة، المطابقية والتضمنية والالتزامية.

كما إنّ بعضَ الدلالات مؤيِّدة لكون الإمام من المعاني الباطنية للنور، ففي الدلالة

الاقتضائية لا يوجد لفظ دالّ على المعنى المراد للمتكلم، وإنّما يتوقّف على هذا المعنى صدقُ كلامه أو صحّته عقلًا أو شرعًا أو لغةً (الغزالي، لا تاريخ: ج ١، ص ٧٢). فإن كانت ثمرة النور هي الهداية كما أشرنا سابقًا، فمن المسلّم به أنّ الهداية متوقفة على اتباع المعصوم حصرًا، وأنّ اتباع غير أهل البيت عليهم السلام موجبٌ للضلال بنصّ عدد من الأحاديث كأحاديث السفينة والأمان والثقلين. وعليه، فإنّ وجود النور لدى أهل الإيمان يقتضي تبعيتهم للإمام المعصوم عليه السلام.

ثم إنّ لوازم دلالةِ الإشارة أخفى من الدلالة الالتزامية، بيد أنّهما متحدّان جنسًا (بابائي وآخرون، ١٣٧٩ ش: ص ٢٤٦- ٢٤٧)؛ ولهذا فإنّ معنى الإمام في هذا المقام يعدّ من مداليل إشارة الكلام أيضًا.

وهكذا تعتبر الدلالة المفهومية قرينةً لتأويل النور بالإمام في الآيات المشتملة على هذه المفردة؛ لأنّنا ذكرنا في ما مضى أنّ المقصود من إطلاق النور على الإمام هو خاصية الهداية عند الإمام، والمفهوم المخالف لذلك هو الضلال الناشئ من اتباع غير المعصوم، كما ورد بيانه في الآيات والروايات المتقدمة.

وأشار الغزالي إلى نوعٍ آخر من أنواع الدلالة، وهو فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده (الغزالي، لا تاريخ: ج ١، ص ٧٤)، ويُستفاد من سياق بعض الآيات والروايات المشار إليها آنفًا أنّ هناك ألفاظًا أخرى غير النور مثل «الصدّيق» و «الشهيد» منطبقة على الإمام أيضًا؛ ولذا يعدّ هذا النوع من الدلالة مؤيدًا لتأويل النور بالإمام كذلك.

٣-٥- عدم الخلط بين المعنى الظاهري والباطني للآيات في تأويل النور بالإمام

بعد بيان تأويل كلمة «النور» بـ «الإمام»، وإثبات صحّته عن طريق روايات الفريقين، وعلم اللغة، وعلم الدلالة، والسياق، والدلالة المنطقية للألفاظ، السؤال المتبادر إلى الأذهان هو: ألا يستلزم التأويل المذكور الخلط بين المعنى الظاهري للآيات وبين المعنى الباطني لها؟

الجواب: كلا. حيث ذهب جميع علماء التشيع إلى لزوم الفصل بين المعاني

الظاهرية والباطنية للآيات القرآنية، عدا قليل منهم لا يعتدّ به لندرته، ممن حاولوا تفسير بعض الآيات من خلال الخلط بين المعاني الظاهرية والباطنية، أو التعويل على المعاني الباطنية فقط، فواجهوا تكلّفًا شديدًا لا يليق بتفسير القرآن (معرفة، ١٣٧٩ش: ج ١، ص ٤٤٧- ٤٤٩).

ومن هنا، شدّد المفسرون على أنّ الأحاديث المتعلقة بالمعاني الباطنية للقرآن تدخل في دائرة التأويل، والمعاني الظاهرية في دائرة التفسير (المصدر نفسه). وفي هذا السياق، فصلت هذه الدراسة بين المعنى الظاهري والمعاني الباطنية لمفردة «النور»، واعترفتْ بأنّ المعنى الظاهري لهذه الكلمة هو الضوء أو الضياء، لكنّها أوّلته بـ «الإمام» للأسباب التي ذُكِرت آنفًا. كما إنّ المعنى الظاهري للضوء منسجمٌ مع المعنى الباطني؛ لأنّه بالنظر إلى ما تقدّم من وجود معنى «الهداية» لكلمة «النور»، فإنّ نور المعرفة يبعث على هداية المؤمنين ليتجلى لهم الغيب، ومن البديهي أنّ الهداية لا تتيسر إلا باتباع الإمام الإلهي.

وعلى الرغم من ذلك لا ضيرَ في تأويل مفردة «النور» الواردة ضمن تلك الطائفة من الآيات ذات السياق المرتبط بالقرآن الكريم ظاهرًا (مثل الآية الحادية عشرة من سورة الطلاق أو الآية الأولى من سورة إبراهيم) بـ «الإمام؛ ذلك أنّ المعنى في التأويل يتّسع لينطبق على ما يوجب الهداية، حتى لو لم يكن موافقًا للسياق.

النتيجة

يمكن تلخيص نتائج هذه الدراسة بالنقاط التالية:

١. إنّ روايات الإمامية الواردة في تفسير الآيات المشتملة على كلمة «النور» أوّلت هذه المفردة بأمير المؤمنين عليه السلام، أو ولايته، أو جميع الأئمة المعصومين عليهم السلام، أو أوصياء الأنبياء، أو قيام إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وقد عبّرنا عن ذلك في هذه الدراسة اختصارًا بـ «تأويل النور بالإمام».

٢. إن تمّ تأييد تأويل «النور» بـ «الإمام» بالروايات والسياق وعلم اللغة ومبادئ علم الدلالة ومبحث دلالة الألفاظ، فلا يعدّ مصداقًا للتأويل المذموم أو التفسير بالرأي

أو ما شاكل، وإنّما يمكن أن يُعَدّ كاشفًا عن المراد الجدّي للمتكلم ، مع الاعتراف بدلالة الآية على المعنى الظاهر لكملة نور وهو الضوء.

٣. بين كلمة نور وكلمات أخرى مثل: الهداية، الصراط المستقيم، الفلاح، الرحمة، الكتاب [السماوي]، الإيمان، البرهان، الإسلام، البصيرة، الأنبياء والشهداء والصديقين، علاقةٌ تركيبية. كما ترتبط هذه المفردة بعلاقة الاستبدالية بكلمات مثل الإمام، الرحمة، الحرور، الحياة، البصيرة، التزكية. كما أشير في الآيات القرآنية إلى تعابير نظير الطاغوت والظلمات والضلال والعذاب والخسران المبين، بوصفها مفاهيم مخالفة للنور، وجرى التأكيد على المواجهة بين هاتين الطائفتين من المعاني.

٤. شدّدت بعض الروايات الواردة في تفسير آيات اشتملت على مفردة «النور» على أنّ مبرّر تأويلها بالإمام هو وجود خاصية الهداية في الإمام، وهذا المعنى منطبقٌ على بعض أحاديث الفريقين، كحديث الثقلين الصحيح؛ حيث أشير في هذا الحديث إلى أنّ عدم التمسك بالإمام موجب للضلال، وهذا المعنى موجود في القطب السلبي من الحقل الدلالي لكلمة «نور».

٥. إنّ سائر الألفاظ الموجودة في الحقل الدلالي لمفردة «النور» (نحو الصراط المستقيم) جرى التعبير عنها في روايات مستقلة بالإمام المعصوم.

٦. في ضوء مبرّر تأويل النور بالإمام، وهو الهداية، يتوسّع معنى النور لينطبق على سائر الألفاظ الباعثة للهداية، من قبيل مفردة «الإيمان» التي تمّ التعبير عنها في الروايات بالنور بصورة صريحة، فقال الإمام عليه السلام: «فسُمّي الإيمان هاهنا نورًا».

٧. بما أنّ المعنى في التأويل يتوسع فينطبق على ما يوجب الهداية، لا ضير من تأويل مفردة «النور» الواردة ضمن تلك الطائفة من الآيات ذات السياق المرتبط بالقرآن الكريم ظاهرًا بـ «الإمام؛ حتى مع عدم وجود إشارة لذلك في السياق أو الروايات.

٨. إنّ تأويل كلمة «النور» بالأئمة المعصومين عليهم السلام وتفسيرها بالمعنى الباطني لا يتعارض مع معايير التأويل لدى أهل السنّة أيضًا؛ وذلك للأسباب التالية: ١- عدم منافاة الظاهر المتحصل من السياق؛ ٢- تأييد التفسير الباطني بشاهد

شرعي؛ ٣- عدم المعارض الشرعي أو العقلي؛ ٤- لا يُدّعى ترك المعنى الظاهري من أجل القبول بالمعنى الباطني وتأويل النور بالإمام.

٩. ثبتت دلالة اللفظ على المعنى بالأنواع الثلاثة للدلالة، المطابقية والتضمنية والالتزامية، في تأويل «النور» بـ «الإمام»، وذُكرت شواهد على انطباق سائر الدلالات الفرعية أيضًا، نحو دلالة الاقتضاء والإشارة والمفهوم وسياق الكلام، على معنى الإمام. وبهذا، يمكن القول: التأويل موضع البحث مؤيَّد بالدلالات الأصلية والفرعية للفظ على المعنى.

١٠. ذهب المحقّقون إلى أنّ أفهامنا القاصرة لا تتمكن من إدراك المعنى الباطني للآيات القرآنية إلا بتوجيه من أهل البيت عليهم السلام والاستعانة بهم، وهم من أوّلوا مفردة «النور» بالإمام في الروايات المأثورة عنهم؛ لكن فضلًا عن الروايات أثبتت هذه الدراسة صحة التأويل المذكور بأمور من قبيل علم اللغة، ومبادئ علم الدلالة، والسياق، ومبحث دلالة الألفاظ في المنطق أيضًا.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. الآلوسي، محمود، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثالثة: نزار مصطفى الباز، الرياض، ١٤١٩هـ.

٤. ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٥. ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، العلامة، قم، ١٣٧٨هـ.

٦. ابن طاووس، علي بن موسى، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، خيام، قم، ١٤٠٠هـ.

٧. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

٨. ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ.

٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

١٠. أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، النور المشتعل من كتاب ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤٠٦هـ.

١١. أحمدي، بابك، از نشانههاي تصويري تا متن (من العلامات المصورة إلى النصّ)، مركز نشر، طهران، ١٣٨٨ش/ ٢٠٠٩م.

١٢. الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٣. الأسترآبادي، سيد شرف الدين علي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، الطبعة الأولى: دار النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٩هـ.

١٤. الأصفهاني، محمد حسين، نهاية الدراية، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ.

١٥. إيزوتسو، توشيهيكو، خدا و انسان در قرآن (الله والإنسان في القرآن)، ترجمه بالفارسية: أحمد آرام، دار نشر فرهنگ، طهران، ١٣٧٤ش/ ١٩٩٥م.

١٦. بابائي، علي أكبر وآخرون، روششناسي تفسير قرآن (منهج تفسير القرآن)، الطبعة الأولى: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، قم، دار نشر سمت، طهران، ١٣٧٩ش/ ٢٠٠٠م.

١٧. بابائي، علي أكبر، قواعد تفسير قرآن (قواعد تفسير القرآن)، الطبعة الثانية: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، قم، دار نشر سمت، طهران، ١٣٩٥ش/ ٢٠٠٦م.
١٨. ـــــــــــــــ، مكاتب تفسيري (المدارس التفسيرية)، الطبعة الرابعة: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، قم، دار نشر سمت، طهران، ١٣٨٩ش/ ٢٠١٠م.
١٩. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٢٠. پاكتچي، أحمد، تاريخ تفسير قرآن كريم (تاريخ تفسير القرآن الكريم)، الطبعة الثانية: جامعة الإمام الصادق عليه السلام، طهران، ١٣٨٩ش/ ٢٠١٠م.
٢١. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٢٢. التفتازاني، مسعود بن عمر، تهذيب المنطق والكلام، تحقيق: حسن ملكشاهي، الطبعة الرابعة: جامعة طهران، طهران، ١٣٦٧ش/ ١٩٨٨م.
٢٣. الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٢٤. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الرابعة: دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٢٥. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٦. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الطبعة السادسة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٢٧. الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الطبعة الأولى: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- مؤسسة الطبع والنشر، طهران، ١٤١١هـ.
٢٨. الحكيم، السيد محمد باقر، علوم القرآن، الطبعة الثالثة: مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.
٢٩. الحلي، الحسن بن يوسف، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ترجمة حميد رضا آجير، وزارة الإرشاد، طهران، ١٣٧٩ش/ ٢٠٠٠م.
٣٠. الخراساني، محمد كاظم، كفاية الأصول، الطبعة الأولى: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ.

٣١. الخزّاز، علي بن محمد، كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر، بيدار، قم، ١٤٠١هـ.
٣٢. الخوانساري، محمد، منطق صوري (المنطق الصوري)، الطبعة الثالثة: دار نشر آگاه، طهران، ١٣٥٩ش/ ١٩٨٠م.
٣٣. دهخدا، علي أكبر، لغت نامه (المعجم)، الطبعة الثانية: جامعة طهران، طهران، ١٣٧٧ش/ ١٩٩٨م.
٣٤. الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب، الطبعة الرابعة: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٣٥. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ١٤١٦هـ.
٣٦. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣٧. الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، ١٤٢٠هـ.
٣٨. سوسير، فرديناند، مباني ساختگرايي در زبانشناسي (مبادئ البنيوية في اللسانيات)، ترجمه إلى الفارسية: كوروش صفري، الدائرة الفنية، طهران، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠١م.
٣٩. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
٤٠. ـــــــــــــ، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، الطبعة الأولى، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ.
٤١. الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار، دار النشر الإسلامية، قم، ١٣٦١ش/ ١٩٨٢م.
٤٢. الصفار القمّي، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ.
٤٣. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت: ١٣٩٠هـ.
٤٤. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٤٥. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى: دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٦. الطريحي، فخر الدين بن محمد علي، مجمع البحرين، الطبعة الثانية: المكتبة الرضوية، طهران، ١٣٨٦هـ.
٤٧. الطهراني، آقا بزرگ محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، د.ت.
٤٨. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٤٩. العراقي، آقا ضياء الدين، نهاية الأفكار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.
٥٠. العسكري، الحسن بن علي عليه السلام، التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، الطبعة الأولى: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٨هـ.
٥١. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، الطبعة الأولى: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١١هـ.
٥٢. الغزالي، محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، الطبعة الأولى: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٥٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، الطبعة الثانية: دار الهجرة، قم، ١٤١٠هـ.
٥٤. الفياض، محمد إسحاق، محاضرات في أصول الفقه، دار الهادي، قم، ١٤١٠هـ.
٥٥. القرشي، علي أكبر، قاموس قرآن (قاموس القرآن)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٥٣ش/ ١٩٧٤م.
٥٦. القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٦هـ.
٥٧. القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي، الطبعة الثالثة: مؤسسة دار الكتاب، قم، ١٤٠٤هـ.
٥٨. القمّي المشهدي، محمد بن محمد رضا، كنز الدقائق وبحر الغرائب، دار الغدير، قم، ١٤٢٣هـ.
٥٩. الكلبي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العصري، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٦٠. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، الطبعة الرابعة: دار صعب- دار التعارف، بيروت، ١٤٠١هـ.

٦١. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، الطبعة الأولى: مؤسسة الطبع والنشر، طهران، ١٤١٠هـ.
٦٢. المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
٦٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الطبعة الأولى: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٦٤. المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٦٨ش/ ١٩٨٩م.
٦٥. معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الطبعة الأولى: تمهيد، قم، ١٣٧٩ش/ ٢٠٠٠م.
٦٦. ـــــــــــــــ، التمهيد في علوم القرآن، الطبعة الأولى: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦هـ.
٦٧. المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤هـ.
٦٨. النباطي، علي بن يونس، الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم، الطبعة الأولى: المكتبة الرضوية، قم، ١٣٨٤هـ.
٦٩. النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الطبعة الأولى: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، بيروت، ١٤٠٩هـ.